

٤

الإيمان
بالكتب
السموية
عامة
وبالقرآن
الكريم
خاصة

أولاً: الإيمان بالكتب السماوية عامة
ثانياً: القرآن الكريم ومنزلته بين كتب الله تعالى
ثالثاً: ثمرات الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن
الكريم خاصة
رابعاً: تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة
وبالقرآن الكريم خاصة

obeikandi.com

الفصل الرابع

الإيمان بالكتب السماوية عامة وبالقرآن الكريم خاصة

مقدمة:

الإيمان بالكتب السماوية يعنى التصديق الجازم بأن الله أنزل كتبه على رسله، لتكون شرعة ومنهاجاً لمن أنزلها إليهم من خلقه، والاعتقاد بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان... ومن تلك الكتب: التوراة التى أنزلت على موسى، والزبور التى أنزلت على داوود، والإنجيل الذى أنزل على عيسى، وآخرها المصدق لها والمهيمن عليها جميعاً القرآن الذى أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه وعلى كل الأنبياء والمرسلين السلام.

ويمكن تناول لذلك الركن من أركان العقيدة فى أربع نقاط،

وهى:

- الإيمان بالكتب السماوية عامة.
- القرآن الكريم ومنزلته بين كتب الله تعالى.

- فضائل الإيمان بكتب الله عامة، وبالقرآن الكريم خاصة.
- تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة، وبالقرآن الكريم خاصة.

أولاً: الإيمان بالكتب السماوية عامة

أنزل الله كتبه على رسله، لتكون شرعة ومنهاجاً لمن انزلها إليهم من خلقه. وكان كل رسول يصدق ويؤمن بما أنزل على من سبقه من الأنبياء والمرسلين.

فأنزل الله التوراة على موسى، ثم أرسل من بعد موسى الكثيرين من أنبيائه ورسله على بنى إسرائيل، حتى آخرهم عيسى، عليهم السلام أجمعين، مصدقين لما جاء بالتوراة وداعين قومهم إلى التمسك بشرع الله. بل وموسى نفسه— كما جاء بالتوراة— كثيراً ما كان يذكر قومه بما وعد الله به السابقين من آبائه المرسلين.

فجاء بالتوراة عهد الله مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، حيث قال الرب لإبراهيم: [أقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم] [تك: ١٧: ٧-٨]. و[كلم الله موسى وقال له: أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء...]

وأيضاً أقمت معهم عهدي: أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم
التي تغربوا فيها][خر ٦: ٢-٤].

وتتابعت أنبياء بنى إسرائيل وكلهم مؤمنون بشريعة موسى،
ويقرءونها على أقوامهم مع الشروح والتفاسير أو الصلوات
والدعوات والتسايح... داعين أقوامهم للإيمان بالتوراة، ومن ذلك
وصية داود لابنه سليمان عليهما السلام حينما قربت أيام وفاته: [أحفظ
شعائر الرب إلهك، إذ تسير في طريقه، وتحفظ فرائضه، ووصاياه
وأحكامه وشهاداته، كما هو مكتوب في شريعة موسى][١ مل ٢: ٣].

وُبعث عيسى عليه السلام - آخر أنبياء بنى إسرائيل - مؤمناً
بالتوراة وما أنزل على الأنبياء السابقين، حيث قال: [لا تظنوا إنى
جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل]
[مت ٥: ١٧].

وقد كان عيسى عليه السلام حينما يعلم في المجمع يقرأ عليهم مما
جاء بالكتب السماوية السابقة، مما يدل على إيمانه بها. ومن ذلك على
سبيل المثال ما جاء بإنجيل لوقا حيث: [دخل المجمع حسب عادته
يوم السبت وقام ليقرأ فدفع إليه سفر إشعيا النبي، ولما فتح السفر
وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه: روح الرب على، لأنه مسحنى
لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى

للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم، وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم: إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم [الو٤: ١٦-٢١].

وكثيرًا ما كان عيسى عليه السلام يستشهد بآيات مقتبسة من الكتب السابقة. وقد ورد ذلك بمختلف الأناجيل كقوله للكتبة والفريسيين: [حسنًا تنبأ إشعيا عنكم أنتم المرثين، كما هو مكتوب]. وقال لهم أيضًا: لأن موسى قال... [مر٧: ٦، ١٠]. وكثيرًا ما قال: [لأنه هكذا مكتوب بالنبي... [مت٢: ٥]، [ليتم الكتاب القائم... وأيضًا يقول كتاب آخر... [يو١٩: ٢٤، ٣٦، ٣٧]... ونحو ذلك في الشرائع والوصايا التي جاءت بالأناجيل، وقد جاءت من قبل في كتب السابقين من الأنبياء والمرسلين. مما يدل على إيمان عيسى عليه السلام بتلك الكتب، ويدل على دعوته لقومه ليؤمنوا بها.

وقد صدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول في قرآنه الكريم: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ) (الصف: ٦). أى "قال عيسى لبني إسرائيل: إني رسول الله أرسلت إليكم مصدقًا ومعترفًا بأحكام التوراة، وكتب الله وأنبيائه جميعًا، ولم آتكم بشيء يخالف التوراة حتى تنفروا عني" (٧٧).

وقد جاء الإسلام مؤكداً أن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان العقيدة في الإسلام، وهو الركن الثالث من الأركان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا باستكمالها جميعاً. وذلك لأنها شريعة الله ودستوره المنزل على رسله، للحكم بها بين خلقه ولضبط حركة الحياة بينهم وتنظيمها.

ولهذا فالمسلم مطالب بأن يؤمن بالقرآن الكريم وما سبقه من الكتب السماوية التي أنزلت على رسل الله السابقين، امتثالاً لقول المنزل لكتبه على رسوله: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ (البقرة: ٢٨٥)... تلك الكتب التي ذكر القرآن منها: التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل هو الكتاب المنزل على عيسى، والزبور هو كتاب داود، وصحف إبراهيم.

ومن الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكتب السماوية، ذلك الدليل الشرعي المؤكد بأمره سبحانه وتعالى بطاعته وتحريم معصيته في الإيمان بكتبه، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦). فهذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله تعالى عامة، وبالقرآن الكريم خاصة^(٧٨).

كما أكد رسول الله ﷺ على الإيمان بكتب الله، في حديثه عن الإيمان بأنه: (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) (٧٩).

أما كون الإيمان بالكتب السماوية واجباً عقلياً، ويؤكد العقل الحاجة إليها، "فإنه يظهر للمتأمل من حيث حاجة العباد إليها، وإقامة الحججة عليهم بها، فإن الرسول المبلغ عن الله شرائعه وأحكامه يحتاج في إثبات رسالته إلى كتاب من الله تقوم به الحججة على تلك الأمة التي أرسل إليها حتى يؤمنوا به ويصدقوه ويتبعوه ويعملوا بما جاء به. والتشريع الإلهي نفسه يفتقر إلى كتاب يحويه ويتضمنه، ويثبت فيه، ليبقى بعد وفاة الرسول الذي جاء به شرعاً محفوظاً تعمل به الأجيال إلى المدى الذي حدد له بنسخه برسالة أخرى، أو بنسخ بعض ما جاء فيه كما حصل للتوراة والإنجيل. فقد نسخ الله تعالى بالإنجيل بعض أحكام التوراة، ونسخ بالقرآن الكريم الإنجيل والتوراة كليهما. ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول لضاع الدين الذي جاء به، أو ضاع الكثير منه، وحينئذ يقول الناس: بم نعبد الله؟ وكيف نعبده ولم يكن لدينا من شرائعه ما نعبده به؟؟

وهكذا، فاحتياج الرسول في إثبات رسالته إلى كتاب من ربه تقوم به الحججة على قومه، وافتقار التشريع الإلهي إلى كتاب يحويه، وعدم

إعطاء الناس الحجة فيما يتبعون به أو يتعاملون، هي التي اقتضت عقلاً وجود كتب إلهية، كما اقتضت وجوب الإيمان بها^(٨٠).

وقد طال الزمان على الكتب الإلهية السابقة—أى السابقة للقرآن فى النزول— وتناولتها الأيدى بالتبديل والتأويل، وبلغت الاختلافات الدينية مبلغاً كبيراً. فقد شهد عيسى عليه السلام بتحريف اليهود للتوراة، فقال لليهود: [لأن موسى قال: ... وأما أنتم فتقولون: ...، مبطلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون] [مر ١٣: ٧].

كما تصدى القرآن الكريم لنقد التوراة موضعاً أن أتباعها قد غيروا وبدلوا فى تعاليمها حسب أهوائهم. فقال الله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، أى من اليهود قوم يحرفون كلام التوراة ويفسرونه بغير مراد الله قصداً وعمداً^(٨١).

وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة بعد المسيح وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية حيث بلغت خمسة وثلاثين إنجيلاً^(٨٢)، ثم أرادت الكنيسة فى أوائل القرن الرابع الميلادى أن تختار الأناجيل المعتمدة، فاختارت الأناجيل الأربعة وهى: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا^(٨٣). وإن كان هناك إنجيل خامس متداول وهو إنجيل برنابا، ولكن البعض منهم يشكك فى صحته^(٨٤).

وقد كُتب إنجيل متى في السنة الثامنة لصعود السيد المسيح إلى السماء، أى نحو سنة ٤١ م في فلسطين. وكتب إنجيل مرقس عام ٦١ م في مصر. وكتب إنجيل لوقا عام ٦٣ م في مدينة الأسكندرية كما يقول العلماء، وآخرون يقولون أنه كتب في اليونان. وكتب إنجيل يوحنا سنة ٩٧/٩٨ م في مدينة إفسس^(٨٥). وقيل: "إنه في الفترة الممتدة من عام ٧٠ بعد الميلاد وحتى عام ١١٠ بعد الميلاد تمت صياغة أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وقيل: إنها كتبت في بداية القرن الثاني الميلادي. وجاء أيضًا في مقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل: قبل عام ١٤٠ بعد الميلاد، لم يكن هنالك بأى حال ما يدل على وجود كتابات تحريرية للأناجيل"^(٨٦).

والقرآن الكريم لا يقر بعض ما في هذه الأناجيل ولا يعترف بأنها من عند الله، وذلك بما صرح به من أن الله نزل على رسوله عيسى عليه السلام إنجيلاً - بصيغة المفرد - وهو غير الأناجيل التي كتبت بعده، وتختلف فيما بينها اختلافًا بينًا، قال تعالى في معرض كلامه عن اليهود: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦). ومن جهة أخرى أعلن أن النصارى نسوا طائفة من أصل كتاب الله^(٨٧). قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤). فكان نتيجة النسيان والتحريف أن اختلفوا فيما

بينهم، فبث المولى سبحانه بينهم العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة، فلا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا، وكل فرقة تمنع الأخرى دخول معبدها^(٨٨).

لذلك أرسل الله رسوله الخاتم محمدًا ﷺ بالرسالة الشاملة وللبشرية جميعًا وبآخر الكتب السماوية وأشملها القرآن الكريم.

ثانيًا: القرآن الكريم ومنزلته بين كتب الله تعالى

بعدما أنزل الحق تبارك وتعالى كتبه السماوية السابقة، وبعد أن نسى من شرائعها ما نسى، و"بعد ما تناولت الأيدي ما بقى منها بالتبديل والتأويل، وبلغت الاختلافات الدينية مبلغًا كبيرًا، وكانت البشرية في خطر المروق من دين الله والاستسلام للوثنية والإلحاد، وأصبح العالم في حاجة إلى وحى من الله يجنبه مواطن الضلال ويهديه إلى سواء السبيل، وكان أهل كل كتاب يكفرون من عداهم واختلفوا في معرفة الحقيقة الإلهية وكنه الدين، جاء القرآن يبين الحق من الباطل ويبين للناس ما أشكل عليهم"^(٨٩)، ويهديهم إلى سواء السبيل. قال تعالى مخاطبًا محمدًا ﷺ: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ يَوَاسِيهِمْ يَوْمَئِذٍ وَأَكْبَرُ وَعَدَّابٌ أَلَيْمٌ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٣-٦٤).

هذا، ويمكن لأى إنسان مفكر محايد، أن يسأل السؤال: ما الشروط التى يجب توافرها فى كتاب سماوى حتى يمكن الحكم عليه (وبعدل) بأنه وحى السماء المعجز الخالد وأنه عالمى شامل؟

وللإجابة عن هذا السؤال: وضع رجال مقارنة الأديان شروطاً يجب أن تتوافر فى كتاب حتى يمكن أن يطلق عليه أنه كتاب الله المعجز الخالد وأنه عالمى شامل وليس محلياً قاصراً. وهذه الشروط المحايدة هى^(٩٠):

- ١- أن يكون الكتاب فى أسلوب الوحى - وهو أسلوب خطابى، فيجرى من المصدر مباشرة ليصب فى أذن المستمع إليه؛ أى لا دخل لشخصية الرسول أو ذاتيته فيه.
- ٢- أن يكون تاريخ تدوينه من المصدر مباشرة، ليكون معصوماً من الخطأ والنسيان.
- ٣- أن توجد منه نسخة وحيدة فى أى زمان ومكان، لأن الحق واحد لا يتعدد.
- ٤- أن يكون خالياً تماماً من التناقض، لأن كلام الله لا يتناقض.
- ٥- أن يكون معجزاً فى معانيه ومبانيه، وينطبق ذلك على أكبر وحدة أو جزء وأصغر آية فيه، لأنه كلام الله.
- ٦- أن يحتوى على التنزيه الكامل التام للألوهية، لأن كتاباً لا ينزه الذات الإلهية لا يمكن أن يكون من عند الله.

٧- أن يحتوي على تنزيه الرسل المكرمين لأنهم اختار الله بعلمه وحكمته. وهل يختار الحق إلا الحق؟!

٨- أن يغطي جميع جوانب الحياة، المادية والمعنوية، وأن يكون عالمياً في منهجه.

٩- أن يهيم على كل ما سبقه من رسالات، ويحتوى على نص صريح بأنه الخاتم.

١٠- أن تنطبق الإشارات العلمية التى فيه على حقائق الكون المكتشفة، سواء فى الأرض أو فى السماء، فى الذرة أو فى المجرة.

والباحث المدقق والمحايد الصادق سوف يجد أن هذه الشروط لا تنطبق إلا على كتاب وحيد فى العالم- ذلك الكتاب- هو القرآن الكريم. حيث تتحقق فيه هذه الشروط المحايدة وبوضوح، وهى:

(١) أن تاريخ تدوينه كان وقت نزوله ومن المصدر مباشرة. "فالتاريخ القرآنى يؤكد أن الرسول ﷺ كان يملئ على أصحابه ما ينزل عليه من آيات الكتاب أولاً فأولاً، وأن أصحابه قد تلقوا ما نزل من الوحي فحفظوه فى صدورهم بعد أو قبل ما كتب من الوحي ما نزل منه" (٩١).

(٢) أنه- أى القرآن الكريم- هو الكتاب الوحيد الذى يحمل صفة

الوحي المنزل بحيث يحس المستمع إليه بأن هناك متكلمًا به من وراء الغيوب، يخاطب السامعين مباشرة، وكل دور الوسيط الرسول هو كدور المرآة يعكس الشعاع دون تدخل منه فيه.

(٣) أنه شامل وكامل بحيث لا يحتاج إلى وصلة أو مكمل وأنه دستور شامل لكل جوانب الحياة.

(٤) أنه يحمل إعجازه المتجدد الخالد فيه وهو ما يظهر في الإعجاز العلمى العالمى^(٩٢).

(٥) أنه ينزه الذات الإلهية ولا يشرك بالله أحدًا.

(٦) أنه ينزه الرسل ولا يتهممهم بما لا يليق بهم كما اتهمتهم الكتب السماوية السابقة: كشر بهم الخمر^(٩٣)، أو إعانتهم على شرب الخمر^(٩٤)، أو اتهامهم بالزنا مع محارمهم أو مع غيرهم^(٩٥)، أو أنهم لصوص^(٩٦)، أو أنهم يبدلون حكم الله— من تلقاء أنفسهم— تبعًا لأهواء أقوامهم وإرضاء لهم^(٩٧)، أو نحو ذلك.

(٧) أنه عالمى لكل البشر، بنصه الصريح، ومبادئه الإنسانية، وشريعته الصالحة لكل زمان ومكان... كما أنه يحترم البشر كل البشر ويكرّمهم، ولا يقول بأى شكل من أشكال التفرقة العنصرية أو غير العنصرية، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، بل يفرض ذلك ويحرمه... إلى غير ذلك من

مميزات - يراها ويقرها كل منصف - يختص بها دون غيره من الكتب السماوية.

ذلك الكتاب الحق الذى قال المولى سبحانه وتعالى فى شأن عزته ومنعته: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢). وقال: ﴿...إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢). كما تولى المولى حفظه بنفسه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

ذلك الكتاب الذى "نسخ الله تعالى به كل ما سبق من الكتب، لأنه متأخر عنها فى النزول. وسنة النسخ وطريقته أن ينسخ المتأخر المتقدم، واللاحق السابق. ولأن الرسالة التى تضمنها رسالة عامة لكل الناس، أبيضهم وأسودهم، وأحمرهم وأصفرهم. فلم تكن مخصوصة لشعب دون آخر من شعوب البشر. كما أن الكتب المتوفرة والموجودة لدى نزوله كان قد داخلها التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقصان، وذلك بنسيان أهلها لأكثرها، ولانقطاع سندها إلى من أوحيت إليهم من أنبياء بنى إسرائيل ورسلمهم. فأصبحت تلك الكتب لا تمثل حقيقة كتب الله تعالى، ولا تحمل الهدى والنور والرحمة والموعظة لأهلها، فضلاً عن غيرهم، فلم تكن قادرة على الإصلاح ولا الهداية للخلق"... لذلك أنزل الله كتابه الكريم على رسوله الخاتم محمد ﷺ "مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيماً عليها"^(٩٨). حيث قال

سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: ٤٨).
فيتعين بذلك نسخ القرآن الكريم لما سبقه من كتب الله تعالى.

والقرآن الكريم هو كتاب الله الشامل الكامل، الذى يحمل كل تعاليم الدين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). وهو الكتاب المبين الذى يحمل النور والهداية لكل من اتبعه ويهديه إلى سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

ذلك الكتاب الذى يحمل الشريعة لكل العالمين حيث قال سبحانه فى سور يوسف، وص، والتكوير: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤)، وفى سورة القلم: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم: ٥٢).
أى "ما القرآن إلا شريعة للعالمين. وكلمة العالمين جمع عالم- بفتح اللام- أى أن القرآن شريعة للعالم كله بجميع أجناسه وشعوبه" (٩٩)،
ولعالم كل وقت وحين إلى يوم الدين.

وهكذا، فالقرآن الكريم كتاب الله المبين، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذى تعهده الله بحفظه، وجعله آخر كتبه،

والمهيمن عليها والناسخ لها، والذي يحمل الشريعة الشاملة الكاملة لكل العالمين في كل زمان ومكان.

ثالثاً: ثمرات الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة

للإيمان بكتب الله العديد من الفوائد والثمرات، منها:

١- العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل أمة كتاباً يهديهم به، حتى أنزل آخرها القرآن الكريم رحمة وهداية لكل العالمين... فقال سبحانه في شأن التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]... وقال تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿الْم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ١-٣].

٢- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم^(١٠٠)، لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

٣- شكر الله على نعمه بإرساله كتبه عامة، وإرساله آخرها والمهيمن عليها، القرآن الكريم، هداية كل البشرية، في كل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- الالتزام بها شرعه الله في قرآنه الكريم هداية البشرية وإصلاح شئونها.

٥- الثقة والاطمئنان والراحة النفسية للسير على نهجه القويم لأنه الصراط المستقيم.

٦- حماية المسلم من التخبط والفوضى والضياع لوضوح المنهج ويسره.

٧- جمع الأمة ولم شملها على المنهج الصحيح والصراط المستقيم.

٨- تحقيق الخير والصلاح والتقدم والرقى في الحياة الدنيا للأخذ بتوجيهاته سبحانه وهو اللطيف الخبير، الذى يعلم ما يصلح شئون عباده وما يفسدها، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٩- الفوز برضا الله لامثال شرعه والسير على نهجه، والفوز بجنته ونعيمه ورضوانه، والنجاة من غضبه وناره وعذابه.

رابعاً: تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة

يمكن تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة من خلال مجموعة من الإجراءات، موجزة كما يلي:

١- تعريف الأبناء بما علمنا من الكتب السماوية: كالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذي أوتيه داوود عليه السلام، والقرآن الكريم الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وحثهم على الإيمان بتلك الكتب... أما ما لم نعلم اسمه من الكتب السماوية فنعرّفه بأن يؤمن بها إجمالاً.

٢- التأكيد على إيمانهم بتلك الكتب السماوية بالأدلة العقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الإشارة إلى الأدلة الواردة بالكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل.

٣- التأكيد على إيمانهم بتلك الكتب السماوية بالأدلة العقلية، لكونها واجباً عقلياً، يؤكد العقل الحاجة إليها، للتعبد بها، ولإثبات رسالة الرسل، وللعمل وفق ما شرعته على من شرعت لهم في مضمار حياتهم.

٤- تعليمهم ثمرات الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة.

٥- تعريفهم بأن الكتب السماوية السابقة منسوخة بالقرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أى مصدقاً لما صح من هذه الكتب وحاكماً عليها، وعلى هذا لا يجوز العمل

بأى حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وصدقه القرآن وأقره.

٦- التأكيد على أن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الخالد، وأنه عالمي شامل وليس محلياً قاصراً، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وبكل ما يتميز به القرآن الكريم من شروط وضمانات تحقق له ذلك.

٧- التأكيد على أن الدين عند الله الإسلام. فهو الدين الشامل الكامل الذى لم يقبض رسول الله ﷺ حتى اكتمل هذا الدين، ونزل ما يؤكد ذلك فى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ويمكن تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة منذ نعومة أظافرهم... لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن النبى ﷺ قال: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه) (١١). وذلك لأن فى تلاوتهم للقرآن الكريم وحفظه توثيقاً للاتصال به روحاً ومنهجاً.

وانظر لما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين...) (١٠٢)، لتجد أمره ﷺ بتلاوة الأولاد وحفظهم للقرآن من قبل سن السابعة، لأن الصلاة لا تكون إلا بشيء من القرآن.

وقد أكد علماء التربية المسلمون تعليم الصبيان القرآن الكريم... فذلك الغزالي يوصى في إحيائه بتعليم الصبي القرآن، ويقول: "فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب ردى الأخلاق، كذاباً حسوداً سروراً نماناً لحوحاً ذا فضول وضحك وكياد ومجانة... وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب - أى في الكتاب - فيتعلم القرآن" (١٠٣). ومعلوم أن بالقرآن يتقرب العبد إلى ربه، وبالقرآن يعرف كل الفضائل ليأتيها، ويعرف كل الرذائل ليجتنبها.

وأشار ابن خلدون في مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن وتخفيفه للأطفال، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية، لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي إلى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان في القلوب. وقال: بأن القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل به من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغير أشد رسوخاً، وهو لأصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه (١٠٤).

هوامش الفصل الرابع

- (٧٧) محمد على الصابوني: مرجع سابق، ص ٣٧٢.
- (٧٨) أبو بكر جابر الجزائري: مرجع سابق، ص ١٤٠.
- (٧٩) رواه مسلم (٨).
- (٨٠) أبو بكر جابر الجزائري: مرجع سابق، ص ص: ١٤١-١٤٢.
- (٨١) محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، ج١، القاهرة، دار الصابوني، د
٠ ت، من ٢٨٠.
- (٨٢) أبو بكر جابر الجزائري: مرجع سابق، ص ٥٧.
- (٨٣) عفيف عبد الفتاح طيارة: مرجع سابق، ص ص ١٤٢-١٤٥.
- (٨٤) فريز صموئيل: مرجع سابق،
- (٨٥) لوقا الأنطوني: كتبة العهد الجديد، مراجعة وتقديم: نيافة الأنبا متاؤس
الأسقف العام، القاهرة، دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٩٢ م، ص
ص ١٧، ٢٤، ٣٠، ٣٩.
- (٨٦) موريس بوكاي: التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم
الحديث، ترجمة: على الجوهرى، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٩٩ م، ص
ص ٨٩، ٩٢.
- (٨٧) عفيف عبد الفتاح طيارة: مرجع سابق، ص ١٤٥.

- (٨٨) محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، ج١، مرجع سابق، ص ٣٣٣.
- (٨٩) عفيف عبد الفتاح طيارة: مرجع سابق، ص ١٤٥.
- (٩٠) حسين رضوان اللبيدي: "الصوت القاتل ورسم خريطة للمخ البشري في القرآن الكريم"، أعمال الندوة الثالثة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، نوفمبر ١٩٩٥، جامعة جنوب الوادي، مطبعة الجامعة، طبعة ١٩٩٨ م، ص ص ٧٦-٧٧.
- (٩١) سعيد إسماعيل على: القرآن الكريم رؤية تربوية، مرجع سابق، ص ١٢٥.
- (٩٢) حسين رضوان اللبيدي: مرجع سابق، ص ٧٧.
- (٩٣) ارجع إلى: العهد القديم (سفر التكوين ١٩: ٣٣، ٣٥) * (سفر التكوين ٢٧: ٢٥) والعهد الجديد (متى ١١: ١٩). (لوقا ٧: ٣٤).
- (٩٤) أقرأ العرس في قانا الجليل والمعجزة الأولى لعيسى (يوحنا ٢: ١ - ١١).
- (٩٥) العهد القديم: سفر التكوين ١٩: ٣٢ - ٣٨) * (سفر صموئيل الثاني ١١: ٤).
- (٩٦) العهد الجديد: (يوحنا ١٠: ٨).
- (٩٧) العهد الجديد: (متى ١٨: ٧-٨) * (مرقس: ١٠: ٤ - ٥).
- (٩٨) أبو بكر جابر الجزائري: مرجع سابق، ص ص ١٤٦ - ١٤٧.
- (٩٩) شوقي ضيف: مرجع سابق، ص ١٤.
- (١٠٠) أحمد مصطفى متولى: مرجع سابق، ص ١٠٦.
- (١٠١) رواه الطبراني. في: عبد الله ناصح علوان: مرجع سابق، ج١، ص ١١٩.

(١٠٢) أبوداود: سنن أبي داود، ج١، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد،
د.ت، حديث (٤٩٥). رواه الترمذى (٤٠٧).

(١٠٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، مرجع سابق، ص١٠٦.

(١٠٤) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الأسكندرية، دار ابن خلدون،
د.ت، ص٣٩٧.